راجعة

قصص قصيرة

أحمد عبدالغفور الحصاص

بطاقة الكتاب

راجعة

أحمد عبدالغفور الحصان

مجموعة قصصية

رقم الإيداع : ٢١٢٧/ ٢٠٢١

الترقيم الدولي:

٩٧٨ -٩٧٧ -٩٠ -٨٣٤٩-٠

الطبعة الأولى

عدد الصفحات: ٩٤

تاريخ الإصدار: يناير ٢٠٢١

الإخراج الفني و المراجعة اللغوية

دار وادي عبقر للطباعة و النشر

رئيس مجلس الإدارة

جابر الزهيري

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأي دار نشر طبع ونشر وتوزيع الكتاب إلا بموافقة كتابية من الكاتب والناشر

دار وادي عبقر

للطباعة والنشر والتوزيع

بيت الإبداع .. وموطن العباقرة

wadiabkr.wixsite.com/wadiabkr

wadiabkar@gmail.com

www.youtube.com/ wadiabkr /

www.facebook/ wadiabkar

٠١١٤١٧٢٨٦٢٥

٠١٥٥٥٥١٧٤٢٦ : ت

٠٨٦٢١٦٤٤٢٨ : ت

٠١٢٢١٤٨١٨٥٦ : ت

الإهداء

أهدي هذا الكتاب

للشاعر / إسماعيل حلمي

صاحب القلب النقي الباعث للنفس على الكتابة والمحقق لمفهوم الثقافة

كذلك أهدي كتابي هذا

لكل يد تكدح وتعتبر لبنة نافعة في صرح مجتمعنا نحو تحضر أو أمن أو تعايش،،

أحمد عبدالغفور

قراءة في العالم القصصي للأحمد عبد الغفور

رؤية بقلم
الناقد / إسماعيل حلمي
رئيس نادي أدب ديرمواس

العالم القصصي لـ (أحمد عبد الغفور) زاخر بالتماعات الحنين والبحث في الماضي بكل تفاصيله الجميلة والمؤرقة.

فهو يطوف بنا في الريف المعنى والذي يحمله معه إلى المدينة فتأتي قصص أبناء المدينة الكادحين كمعادل موضوعي لحالات المعاناة الريفية التي تطل من سطور الكاتب بدون قصد

وعند مطالعة المجموعة تجدك مشدودا إلى ستة ملامح رئيسة مرتبطة بشخصية الكاتب : -

١ - الملمح الأول: التعميم وهذا تشير إليه عناوين القصص ذات الطابع التنكيري فالكتاب معنون معظم قصص المجموعة بطابع النكرة وذلك يشير إلى سعة عالمه القصصي ورحابة روحة فسرده يمكن أن ينسحب علي كافة الاشخاص أن لم يكن جميعهم

وكذلك ما في النكرة من إيهام بالغموض والعمق الإنساني حينا والفني حينا آخر، وعليه فإن هذا الملمح باب حاكم في البنية السردية وأيضا في موضوعات المجموعة

٢ - الملمح الثاني: الحنين واستجلاب الماضي فالمجموعة كأنها بكائية طويلة ربما لثقافة الرجل التراثية كونه خريج دار العلوم وتلح عليه البكائيات العربية مطلع القصائد القديمة ولا نغفل طبيعة الريفي المتعلق

بالماضي الذي يوحي بعالم المثال الذي لم يعشه والذي تنسحب منه السلبيات بفعل الزمن والتجارب فيصير عالما يوتوبيا فيه الأحلام بكل سعتها وشفافيتها وفيه البكاء البكر الذي يطهر النفس من أدرانها ولذا فأبطاله ليسوا من أبطال الحياة والواقع بجميع جوانبه بكل شخوص قصصه منتقون من عالم الكفاح الشريف والأحلام الطازجة كأنهم الملائكة الذين لا يقترفون الآثام ولا يعيشون إلا المعاناة البكر المطهرة من دنس الواقع ثم إن تعبيراته كلها فصيحة تراثية مجلوبة من عالم مخملي لم ينزل للغة الشارع ولا يقترب من ملوثات الواقع

٣- الملمح الثالث: العالم القصصي والذي لا ينفصم كثيرا عن الملمح الثاني من حيث المثالية فهو موضوعات المجموعة والتي تركزت في الجانب الاجتماعي والإنساني والنفسي بما في ذلك من.

الخلود للمظلومية في رومانسية الضعف والانهزام أمام الحظ والطبيعة والفقر والعناد

الانسحاق أمام الماضي الطاغي في السياق الدرامي والتقني من حيث حلاوة أحلامه أو مرارتها ومن حيث قوة تأثيره في السرد والسياق الحكائي من الماضي واستمراره إلى الحاضر

ومن حيث أنصار ذات الكاتب في شخوصه وحرصه على إخراجهم في صورة الإنسان المثالي في حوارات وسلوك لا تتزحزح عن قيود الدين والأخلاق شعره

وكذلك اللغة المثالية الفصيحة بل والتراثية

٤ - الملمح الرابع: الصياغة والسرد وهو مرتبط بجوانب أربعة

الدرعمي/المعلم /الريفي/التائه

فاللغة تراثية يقفز الفتى الدرعمي في كل جملة ليرفده بمعجم لا ينفد من الألفاظ القديمة التراثية في وصف أو حوار أو تقرير..... الخ

والمعلم الذي يتلبسه خشية ألا يصل المقصود من السياق فها هو يستطرد في السرد بل يفصل ويشرح ويبسط حتى لا يضيع الخيط الدرامي من القارئ

وكذا الريفي الذي لا يغامر في التجريب فهو يقدم موضوعاته بكل صرامة وحزم يلتزم حرفيا بالنموذج القصصي كأنه أمام صرح مقدس ونموذج لا يمكن خرقه

وكذلك لغة الريفي المهذبة الواضحة والمنمقة في نفس الوقت بحيث لا يمكن تأويلها أو المؤاخذة عليها

وهو التائه المحير بين متطلبات روحه الهائمة في الملكوت كفنان وبين ثقافته المحافظة بين الشاعر الذي يتلبسه والكاتب الذي يعبر به وعنه ولذا تتفلت منه بين الحين والآخر الصور والأخيلة في الوصف حتى أنه يصر في سرده على فترات على قمع الشاعر حتى لا يفقد الخيط السردي

وهو الهيمان المنتبه والصارم المنفلت والتراثي الحداثي والمتمدن الريفي

٥- الملمح الخامس: النمطية والتقليدية في الحكي

فالكتاب لا يكاد يبرح العناصر الأساسية للقصة فهو لا يجنح مثلا إلى الفانتازيا أو الروح الخيالية الميتافيزيقية بل يلتزم الواقعية الصريحة التي تكاد تودع عالمنا القصصي

وهو لا يستجلب التاريخ او التراث ولا يلغز أو يوهم فقط هو شخصية تشيكوفية بالمازورة يبدو أنه كان يراقب الناقد وهو يكتب أو يقلم أظافر التجريب حتى لا ينحرف بعيدا عن التصنيف كقاص أو كاتب قصة قصيرة حرفيا

٦- الملمح السادس والأخير: المجهول والمستقبل الغامض الذي يعبر به وعنه كأن الرجل يكتب عمله الأخير فهو لا يعرف لمن يكتب بالضبط لم يترك لنفسه العنان ويكتب باستمتاع وإنما لديه محاذير نفسية وأخلاقية وفنية لا يخطو إلا ويلتفت السطر هل هو مطابق للمواصفات والمقاييس

وبعد هذه الملامح التي تطالعك في المجموعة القصصية المسماة (راجعة) والتي يحيلك عنوانها إلى محتواها بكل معناها

فأنت اخيرا أمام قاص مكتمل الأدوات يحسن الصياغة شاعر في ثوب قاص أظن أن الناقد الذي يتعرض لقراءة ما يكتب سيذهل ويستمتع ويتوقف طويلا من أين يبدأ الحديث عنه أو كيف يعالج التعرض لقصصه فإنه لا يمكنك أن تصرخ بأنك وجدت كنزا فنيا بهذه المجموعة

لكنك أيضا لا يمكنك الا أن تخفض قلم النقد احتراما لهذه الموهبة بل وشخصية الكاتب الصارمة المبدعة في أن انت أمام كاتب محير حقا والمنيا حق لها أن تفخر بهذا الكاتب المميز الذي ليس له كبير يعود إليه لكنه ابن مخلص لثقافته وطبيعة شخصيته كاتب ذو طعم خاص وعالم خاص ينتزع أفكاره من بيئته ويفتل حبال صياغته من ثقافته

أحمد عبد الغفور اسم في السرد سوف يدوم طويلا لأنه لم يتسرع في الكتابة والنشر وترك تجربته تنضج بكل هدوء يراقبها وينقحها ويصقلها ثم يعرضها لنا في الصورة الجادة والجيدة

اسماعيل حلمي

الطفل المفقود

وسط زحام الأتوبيس وتراكم اللحوم المتراصة، هذا يزاحم للخروج لقرب محطته وأخرى تزاحم للدخول وذاك يمينا وتلك يسارا إذ بشبح آدمي صغير ينزلق بين الجموع واللحوم السردينية حتى وجد فجوة أقل من حجمه فوقف فيها تضغط عظامه تصرخ ما هذا العذاب، يلبس جلباباً يظهر عليه آثار الملبسية وتحمل كما من التراب والجير ويضع على عنقه الصغير الناعم كوفيه بالية عمرها أكبر من سنه، ويحمل تحت إبطه عبوة فارغة من عبوات الأسمنت ومتشبث بها، عيناه تدوران لا يرى شيئا يغشاهما التراب مقرحتا الجفون تطلبان الرحمة من الزحام والأجسام الساقطة على كاهله الضعيف، وجهه يحكي مأساة بعيدة الأطوار وشعره تعلوه شيبة من أثر مواد البناء، يمتطي الخوف مهرا يجري على مقاطع وتقاطيع وجهه المستدير فلا يكاد ينحرف عنه وكأنه بيئة صالحة له. فهو لم يحس معنى الاطمئنان منذ ولاته، يقطع عصرا طويلا من الحزن الجارف.

..... دقائق ليست بالقليلة عطف عليه أحد الجالسين أخذه إلى جانبه، شعر ببعض الراحة.

ينظر من نافذة الأتوبيس يجد ندا له يحمل حقيبته المدرسية عائدا إلى منزله فأطال النظر إلي عديله، ولكن الأتوبيس لم يمكنه من الحزن على نفسه ولم يمنحه المقارنة.

وقف الأتوبيس في إحدى إشارات المرور المزدحمة الخانقة للأنفس نظر إلى طفل إلى جانب أبيه في سيارتهما وتذكر زوج والدته الذي لم يتركه يهنأ بدقيقة من الراحة أو اللعب، فتحت إشارة المرور شباكها فانطلقت السيارات وسار الأتوبيس. غلبه النعاس فوضع يديه الجيرية على مسند الكرسي وأسند رأسه الشائبة المشيبة ونام هنيهات وقف الأتوبيس فجأة كعادته فصاح الصغير صارخا..

- حاضر يا أسطى.

ضحك الجميع من حوله ولكنه لم يبتسم... وكأنه لم يعرف سوى هاتين الكلمتين.

وانطلق الأتوبيس ثم توقف في محطة لمنطقة عشوائية متدنية والعشش الوقحة وكأنها ليست من المدينة ولا تظهر عليها الآدمية.

نزل رجل ضخم الجثة إثر الوقوف وناد بصوت غليظ ولد هب الطفل.. حاضر يا أسطى يلملم ما بيديه ونزل مهرولا في هذا المكان الموحش محل إقامته وانطلق الأتوبيس يعدو في طريقه وكأنه تخلص من هم ثقيل.

حنين

إنه وصل الخامسة والستين من عمره، دخل مكتبه مستندا على راحتيه اللتين جعدهما الدهر كأنهما ورقتا شجر في فصل الخريف وبصعوبة جلس على كرسيه ووضع النظارة، وأخذ يقرأ رواية قد أتى بها ابنه الصغير كلما تنقل بين سطورها تتحرك عواطفه – فقد كانت تروي قصة صداقة – فطاف بخلجات نفسه ومنحنيات عقله ذكرى أصدقائه الجامعيين.

تذكر كراسته الوردية التي اشتراها في الأيام الأخيرة من دراسته، أخذ يبحث وتطوف عيناه ويتأجج قلبه شوقا تارة..... وخوفا تارة آخري..... وبينما هو بين ركام الكتب التي عفت عليها السنون وداست عليها أقدام الأيام والشهور في مكتبة قديمة هجرت منذ سنين.. فيا ويلتي

وأخذ يفتش ويفتش وكأنه يبحث عن بقايا عمر له لعلها تعيده للوراء وقد تعيده إلى شبابه الذي طفئت ناره وأخمدت جذوته..، وأطفئت أضواؤه، وإذ برف خشبي ينظر إليه يحمل ورقا وترابا قد رمسها.

فأتى بكرسي وصعده ليحصل على هذه الأوراق فها هي الكراسة الوردية

يا للمفاجأة.. كراستي واهتز واهتز الكرسي كذلك، وسرعان ما سقط على الأرض – فهل رجع إلى الأرض؟ –

أصيبت ساقه و لكنه من الفرحة بلقياها لم يهتم تململ وقام بكل هوان وتعب..... أتت إليه سيدة قد أكل البياض شعرها كانت زوجته قالت:

ماذا حدث

قال: لا شيء

استند عليها وساعدته حتى دخل مكتبه أرادت أن تطلب طبيبا ولكنه رفض وكأنه لا يملك وقتا

جلس وشرع يقرأ...

رُسِمت الكلمات في بريق عينيه الفاتر محملقا في السطور

سألته زوجته: ما الذي يشد انتباهك؟...

قال: اسمعي سأقرأ عليك بعض الذكريات لأحبائي الذين غابوا من سنين

وقبل أن يقرأ كلمة واحدة جرت الدماء في عروقه فلونت وجهه باللون الأحمر وزاد وجله وترقرقت مياه عينيه فبللت رموشه البيضاء.

فبعضهم كتب له عبارات تحمل كل معاني الآسي والفراق، وبعضهم كتب له عبارات ساخرة مضحكة رسمت على وجهه البسمة في كل هذا الخضم من المشاعر، بل جعلته يقهقه والبعض الأخر اخذ يعدد له المواقف وتلك الصعوبات التي شاركوا بعضهم البعض فيها وأخر يدعو له..... أخذ ينظر إلى صورهم الفوتوغرافية التي ألصقت على أوراق الكراسة الوردية تعرضت نفسه لمفارقات أيبكي أم يضحك؟.....

فأين هؤلاء؟..... ظل صامتا

قاطعته زوجته مسرية عنه: لماذا لا تسأل عنهم الآن؟ – بعد أن قرأت الكثير وهو مستغرق في الأفكار –

قال: كيف وأين يكونون ؟

قالت: توجد عناوين لهم وأرقام تليفوناتهم

قال: ولكن لا بد أن كل شيء تغير.... وهل يا ترى... ما زالوا على قيد الحياة؟

قالت: جرب

قال: أخذتنا الدنيا وانقطعنا فكنا أصدقاء لا تفارقنا الابتسامة نهون على بعضنا نقتسم رغيفنا....

تساقطت دموعه فنزلت ببطء مارة على تجاعيد وجهه

قالت ممتعضة: ألم أكن بجانبك؟

ضريح الكبر

تضطرب أقدامه بل جوانبه، تارة يسير يجر ورائه أذيال عمر مضى، وتارة يستند براحة قهرها الدهر على حائط يضحك الحائط كل يوم لمرور هذه الظلال فسرعان ما تنتهي، ولكن الظل للأسف لا يدرك ذلك إلا بعد غروب الشمس تتساقط دموع الأسى والألم ولا يدرك أنه ينزف دموعه على شيء تافه قليل، فالبارحة كان يحصد نظرات السخط والكره والنفاق، واليوم يجتلب نظرات الشفقة والعظة

إلا أن احد الظلال قد سوّد فهو يضحك بعينيه، حاسب على طريقك!!!! استند عليّ.

وعندما نظر إلى الماضي شق له بابا لكي يبكي، فكان بالأمس تاجرا. يبيع لا يشتري أبدا،

فهو يتبختر في الجلباب الأسود الصوف والشال الهندي المزركش والعصا الملوكي طويل الوجه يكسو جبينه السحاب.. يمتلئ أنفه، شاربه يشير إلى القوة كجناحي صقر القوة التي تبكي عليها الظلال، يخامر شلة الكبراء بنظرة الظلال.

وذات يوم رأى شيخا يتلجلج في مشيته من سوء أبلاه.. فأخذ يتراقص ورائه ساخرا أضحك ظلالا مثله

التفت إليه الشيخ: الدنيا إلى زوال.. وغاب عن سخريته

لم يلتفت ذلك القلب المحاط بالكبر وبصره بغشاوة التعالي، ومضروب على أذنيه بالجهل، لا يقف أمامه كبيرا أو صغيرا إذا أراد شيئا لم تكن إلا القوة والعنف سبيل، لم يسأل عن سكة السلامة، تنهمر على أفكاره اللذة، تدوي انفجارات الوحشية على سلوكه، يمضي كوحش حبيس تشنقه الدنيا ولكن لم يحس حز الحبل فهو يحجل كغراب وراء الأجساد المتعفنة في العراء

قال ذات مرة: لا يملأ عيني شخص في هذا العالم، وكان لا يدرك ما يتسلل إليه وهو أصغر الأحجام على الأرض أصابه في مقتل فنامت قدماه ولم ترد أن تفيق وحاول الأطباء ولم تجدي المحاولة فأصبح كسيرا كسيحا.

يجلس أمام بيته على كرسي يرمقه الناس بعضهم يلقي عليه السلام

وبعضهم يسخر كما سخر وأصبح حديثا على مقاهي القرية

طامح

وقف بعنفوان الأسد وزهاء الصبا وطلاوة لم يعهدها أحد من المثقفين والأدباء في ندوة تكريمه، إنه العم " فتحي " بالفعل هو عم الشعراء بمركز ديرمواس جنوب المنيا، بعد ما ألقى قصيدة من قصائده وسط تصفيق الحضور تتهادى كلماته بين الصفوف تهز قلوب السامعين وتحرك جوارحهم، فها هو ذا اقترب من السبعين عاما تتألق البسمة على وجهه تختلط بزاويا السخط والعتاب، ترتسم منه دوائر الألم لتلف القاعة جميعها أصاب بها مشاعرنا نقلنا معه إلى السبعين في لمحة لا يرمقها البصر وهو يقول:

وأنا بيني وبين الموت بعض خطوات و(قد لا تكون) ولم أحقق رغبتي في نشر ديواني الشعري.

فقد كتب ديوانه من عشرين عاما وأتمه على أمل أن يطبع من خلال نادي الأدب ولكن لم يجبه أحد.

فقد أتى حفل تكريمه وهو مكترث غير مكترث فقد كان يريد أن يروي بمائه حبيس القمقم النجم الصغير من الشعراء حتى يصير

شجرة وارفة، ولكن لم يأت صاحب الحظ لينظف القمقم ليخرج إلى النور يسقي هذه الأنجم ويرويها

وقف يجلجل ويعاتب المسئول عن الندوة الخاصة لتكريمه ويقول:

- ما أتيت اليوم بعد هذا العمر لأكرم بشرب كوب من الشاي.

وقد ضجت القاعة من عتابه الشديد

وهو ابن الثامنة عشر كتب أول قصيدة وعرضها على مدرسه في ذلك اليوم. إلا انه اصطدم بكلماته كاصطدام سفينة بجبل صخري ظهر من خلال شبورة على سطح البحر لم يستطع ربانها أن يتوخى خطرها فأصبحت ألواح ودسر ممزقة.

ومرت أيام قليلة وكان بقريته مجلس عرفي لأحدى القضايا الخلافية وحضر مع رفقائه فقال له أحدهم:

- معلم اللغة العربية بالمركز يحضر فاعرض عليه قصائدك فهو لم يتوقف عن الكتابة رغم ما تعرض له من سخرية مدرسه.

تشجع الفتى وبعد انتهاء المجلس العرفي قدم له ورقته تعلوه صفرة من رد هذا المعلم ..... من كتب هذا ؟

رد: (متلجلجا)

- أحاول اكتب.

هذه ليست محاول ولكنه عمل مكتمل ونبوغ كبير، وهنا أزهر الورد في قلبه وغرد العصفور في عقله وسرت الحيوية في وجهه وانتفض وكأنما انتشل من غرق؛ فهو يحب الشعر وقد وعده هذا المعلم بمقابلته ليسمع منه.. واصطحبه في نوادي الأدب يقدمه في الندوات ليلقي شيئا مما كتبه وكان يتعرض للنقد اللاذع أحيانا وأحيانا يمتدح حتى قرر عمل ديوان شعري....

وفجأة.. أقسم أن يترك الحفل وسط أمواج من كلام الحاضرين إلا أن سرعان ما هدأت ثورته واسكت تمرده لأنه من رقاق القلوب. بعد أن أمسك المدير العام لنادي الأدب بالمنيا بميكرفون الحفل وقال:

- لا تعاتبني في ذلك لأنني ليس لي ذنب فيما جري، فقد لعب الحظ معه لمدة عشرين عاما لم يستطع العم "فتحي" وهو شيخ أدباء ديرمواس نشر عمله الأدبي إلى الآن وتسلم شهادة تقدير لعلها خففت من أحزانه المختلجة به طوال السنين العشرين.

من حسن حظي نزلت بجانبه على سلم القاعة وكأني ابن السبعين عاما بكلماته التي سبغتني وسلمت عليه وهو لا يعرفني فهذه أول مرة أقابله وانصرفت.

غرام

امتطى جواد فكره الأبلق يجري به على شريط الماضي الذي أنصفه ولم ينصفه. أوقف زميل له جواده. فهو شارد الذهن بعد أن انتهى يومه الدراسي منذ شروق الشمس إلى قبيل الغروب وهو داخل قاعات المحاضرات

أراد زميله أن يصطحبه إلى المنزل الذي استأجره ولكنه فضّل أن يرجع بمفرده، أراد تفقد شوارع المدينة ويستكشف ما بها من غموض ومفارقات، فلم يمض من عامه الدراسي الأول بالجامعة سوى يوم واحد، دار دورته وقرر العودة إلى منزله المستأجر، بعد أن أحس النصب والتعب، عاد في شارع طويل ممتد تنمقه أشجار الزينة وأرصفته المخططة وسكونه الغريب، انعطف بشارع جانبي متفرع من الشارع الكبير يزداد سكونه إنه بمنطقة مترفة وتسمى الراقية يداه تتأرجحان ورجلاه تتلجلجان مما فيه من العناء فاضطربت سلسلة المفاتيح في يده بها قرص معدني (ميدالية) محفور عليها " غرام " وازداد اهتزازها مع زيادة ترنحه فسقط وسقطت الميدالية تمالك نفسه ووقف إلا

أنها تدحرجت تحت إحدى السيارات الواقفة على جانبي الشارع الساكن التي تنعدم به الرؤية بسبب الأشجار الكثيفة حيث أن كشافات الأعمدة الكهربائية لا يصل ضوؤها.

أخذ يبحث ويفتش عن الميدالية في جدية غليظة وهم قابع منذ سنين.....،، حتى أعياه الجهد فضاعفت من شجونه وكادت دموعه المتجمدة تنهمر.

** ** **

بكت أمامه يوما: أهى نهاية المطاف ؟

قال : لا لا لا بد من لقائنا ثانية – إن شاء الله –

قالت: أشعر بحزن ويلبسني التشاؤم

قال: كيف والأيام مازالت أمامنا!!!!

قالت: خذ هذه الميدالية فستكون ذكرانا.

** ** **

لم يجد الميدالية وفقد الأمل في إيجادها وذهب إلى سكنه، وصل سريره وكأنه يحمل على عاتقه أعباء العالم العاشق، تقوقع على سريره يفكر في انقشاع الظلمة ويذهب للبحث عن غرام يجري على خاطره أيجدها أم أنها ضاعت في غياهب النسيان ولكن أخذه النوم فكسر عنفوان الهم وغلبه النعاس، واحس بيد تحرك

رأسه كانت يد زميله في السكن يوقظه فوجد الساعة الواحدة ظهرا.

كانت السيارة الواقفة على جنبات الشارع قد غادرت المكان.

فاجعة

امرأة بدوية خمرية اللون، موشومة بخطوط ثلاث على الجبين لونها أزرق داكن كلون حياتها، تجلس إلى شجرة "النبق" أمامها ضريح، تسرح بناظرتها على الجبال الممتدة ذات الألوان الجذابة بأحجارها الصلدة السوداء اللون بلون شعرها، وحمرة الجبال التي انعكست على خديها، تنسدل من عينها عبرات نارية استقت نارها من حرقة القلب على زوجها الذي سقط من قمة الجبل، فقد كان يرعى غنمه من أسبوع وأخذته سنة من النوم هب فزعا على صوت صراخ الأغنام، إذ بذئب ضخم تقدح عيناه شررا يمسك بخروف متوسط السن وانطلق إلى الذئب دون خوف لأن هذا الخروف كان يعز عليه لأنه ولد في نفس يوم ميلاد ابنه الصغير، وأخذا يقاتل الذئب ولم يشعر حتى سقط بالذئب من فوق الجبل ولقيا مصرعهما.

وعندما وصل خبر وفاة (أبي السباع) صرخت نساء الحي بشدة، تأثر الابن الأكبر، سقط مغشيا عليه ونقله أبناء عمومته إلى

خيمة قريبة وقام بإفاقته إلا إنه لم يستطع الوقوف وأصبح كسيحا (فيا لحسرة أمه)

تشق العبرات قسمات وجهها وتعتل نفسها بالهموم فكأنها سفينة في خضم تضربها الأمواج في ظلمات لا نهاية لها، لا يعرف راكبوها أين المفر؟ وكأنها طائر وقع في شراك صياد ترك أفراخه جوعى، لا يعرف كيف الخلاص؟....

تفكر وتناجي نفسها لما تفعلين بي هكذا أيتها الدنيا حالك حالك عملك غادر وبطشك قاس لما أخذت حبيبي؟.... لما أصبت وليدي؟... لعنت ولعن من يركن إليك.. آه.. آه يا أمي.. آه.. آه يا أبي تركتماني صغيرة وكأن الحزن خيم بخيمة علي لم أستطع الخروج منها.

وبدأت تقول: جرح فتق جروحا نفسي حزينة وقلب مدبوح يضع يده الرقيقة على كتفها ينظر إليها تنطق عيناه بما تعجز الألسن التعبير عنه إنه يشعر بما تشعر به (ذلك الرابط بين الأم والأبناء فإذا حزنت حزنوا وإذا سرت سروا)

إنه صغيرها فهو لم يتجاوز العام ونصف العام

تمسح الأم دموعها وتحمله: تعالى يا بني سأعطيك حلوى أتى بها والدك. يأبى الطفل أن يأكل حتى أكلت أمه وكأنها إشارة

البدء لتترك أحزانها لنفسها. وتنتبه لابنيها الكبير لم يتجاوز الخمس سنوات وأصبح طريح الفراش كسيحا ترعاه أختها في فترة الهم والحزن

مرت ليلة تفكر ماذا تفعل مع ابنها الكبير؟ وكيف ستعالجه؟ وكم يحتاج من المال؟

في الصباح الباكر قامت باصطحاب أختها وابن عم لها إلى القاهرة لتعرض ابنها على الأطباء.

دخلت على الطبيب بعد إرهاق كبير من انتقالها من البادية إلى الحضر فضلا عن الإرهاق الذهني مما يعانيه ابنها الكبير تبكي تارة وتنظر تارة إلى السماء طمعا في شفقة ورحمة مولاها.

الطبيب: تفضلي يا سيدتي

الأم (رغد): ابني يا دكتور لا يستطيع الحركة.

الطبيب يضع الطفل على طاولة الكشف ويحاول فحصه ويضع السماعة على ظهره

يتحدث (سيف): يا دكتور متى يرجع أبي؟

الطبيب يتوجه إلى الأم: ما الأمر؟

رغد: من ساعة خبر وفاة أبيه وحدث ما حدث.

رفع الطبيب سماعته قائلا: سأرسلكم لطبيب نفسي فابنك لا يحتاجني.

كتب لها العنوان وهي ترتجف وأصبحت مذعورة لما رأته مما في عين الطبيب من شفقة تبكي لها الجبال وتئن لها الوحوش وتسكن لها الرياح. تستند على أختها وابن عمها يحمل الطفل وكأنه يحمل بين ذراعيه هموم العالم تنسدل منه دمعة يخفيها بسرعة.

رغد: يا ابن عمي سأبيع كل الأغنام عند عودتنا ولا أترك شيئا حتى يشفى ابني

راجح: يا أختي إنسي الآن.

وبعد ساعة من التنقل بسيارة الأجرة في زحام المدينة الخانق، الحابس للأنفاس. وصلوا إلى عيادة الدكتور إبراهيم الهتيمي طبيب نفسي.

دخلت على الطبيب: تفضل يا دكتور هذا الجواب

تحدث الدكتور قليلا مع الأم ونصحها بأن يبقى بالعيادة عدة أيام لفحصه ومتابعته.

رغد تنظر إلى ابن عمها في حيرة مما يحدث وما هذا الهم الذي يطبق على أنفاسها تحادث نفسها لا يمكن أن أضعف وينهار البيت بأكمله من سيربيهما سواي وعلى الفور أجابت الطبيب:

- موافقة يا دكتور

الدكتور إبراهيم (هامسا): لقد تأثرات عضلات ساقيه وسنحاول، وكل شيء بإرادة الله. وسنرسله إلى المستشفى الخاص

تركت أختها مع ابنها ورجعت مع ابن عمها وفي الطريق طلبت منه أن يحضر مشتر لأغنامها وأرجو ألا تعرض خدماتك أو حتى خدمات القبيلة.

راجح: سمعتنا وسمعة القبيلة بين أهل البادية

رغد:

- لا يهمني الناس في شيء ولن أعلم ابنيّ الاعتماد حتى عليّ وسوف يعرف أبو السباع انه أنجب سباعا.

راجح:

- دماغك أصلد من الصوان من نعومة أظفارك ولا أستطيع إلا أن أقول سماحك الله وساعدك، تعلمين يا ابنة عمي كم لك من معزة.

وصلا ولم تنم سوى ساعة وقامت إلى ابن عمها ووجدته موف بما أرادت، علم شيخ القبيلة أن (رغد) تبيع أغنامها فذهب إليها بادرته:

- وفر يا شيخنا ما ستعرضه

سكت الشيخ وقفل وهو غاضب.

أخذ الرجل الأغنام وهي تشيعهم بنظرات الأسى وأسرعت إلى خرافها تلمس ظهورها وتودعهم كم اشتم رائحة مربيكم ذهب وذهبتم وما يفرقه الزمان والأيام عمره ثاني لا يُلم، ونزلت من عينيها دموعا ألهبت الأرض وحولت ترابها لجمرات آهات.

لا أعرف انتظر صيدا

على مجرى الترعة الممتد يجلس شبراوي على شطها يمسك بيده صنارة صنعها من عصا النخيل، يحفه نبات الحلف ويتظلل بشجرة خروع عجوز بجانبه قلة وصرة عيش فهو يعرف أنه سيجلس طويلا، والصيد يحتاج إلى المكوث حتى تطمئن الأسماك وتأتي إلى طعمه الذي جلبه من طين الأرض الرخوة وهو يردد آن الرخو الضعيف دائما طعم وسيط للوصول ينتهي بين صياد وفريسة

فقد كان شبراوي يتعلم على يد احد الأساتذة الكبار في الفلسفة الذي قتل بالقرية ولا يعلم أحد إلى الآن من قتله وأين ذهبت جثته فلم يرى بعد اختفائه سوى دماء روت تراب حجرته في قريتهم الكبيرة التي تعج بالناس وتموج بالمشاكل.

يمر أحد الفلاحين على شبراوي وهو جلس يدندن بحزن لا يعرف مصدره،

- يا شبراوي أنت ملّكك أبوك هنا
- لا يا عم سندان

- طب يا أخويه لما تعلمت علام عال قاعد تعمل ايه هنا
- أسلي نفسي يا عم سندان
- شبراوي رايح.. شبراوي جاي.. القطر اشتكى منك يا شبراوي
- ايه الداعي للكلام ده بس
- شوف مكان غير ده تدندن فيه

لم يكن لشبراوي وهو خريج الجامعة سوى الانصراف من تحت حقل العم سندان الذي فشل أبناؤه في المدارس وأصبحوا حديث القرية في سوء الخلق.

ولم يكن لشبراوي أرض يمتلكها إلا بيت صغير فهو يتيم الأب تنفق والدته عليه من بقالة صغيرة تديرها بالبيت الصغير فهو دائم الشعور بالعجز.

أخذ صنارته وصرته وقلته وأخذ يسير على شط الترعة الممتد مدد البصر وهو لا يحمل ضغينة على طارده العم سندان ووصل إلى مكان قد فرش بالرمال البيضاء النظيفة ولكن لم يجد ما يظلله

جلس ونصب صنارته، وظل طويلا وهو يدندن يناجي نفسه لما لا يأتي إلي صيد ولو صغير فترد عليه نفسه أنك تفقد أشياء كنت تملكها فكيف يأتي إليك ما لا تملكه؟!!!

وفجأة اصطادت صنارته سمكة ولكنها كانت صغيرة وأخذ يدندن.

أخذته سنة من النوم ورأى أستاذه (جابر) في منامه

- ماذا تفعل يا شبراوي
- كما ترى يا سيدي وأستاذي

أشار الأستاذ بعصاه الذي تعود أن تتبادلها يده عند حديثه مع طلابه إلى قلب شبراوي وقال هنا يمكث المرض.

وفجأة وجد عصا تخز كتفه استيقظ فوجد بنت الحسب والنسب (أماني) مع قريناتها قائلة:

- اسمك شبراوي – علت صيحاتهن بالضحك – لم تتحرك شفتاه بهمسة.
- لا بد أن تغادر فهذا مكاننا تعودنا أن ننصب مظلتنا هنا.

كانت هذه آخر كلمات سمعها من أماني

كعادته أخذ صرته وقلته وصنارته وتابع السير وسط ضحكاتهن.

وبعد وقت قصير نسي ما حدث فهو يحمل هما لا يعرفه ويقاتله اكتئاب لا يعرف سببه

أحس عطشا فأمسك القلة ليشرب نزلت المياه إلى معدته باردة أسكنت ما به من قلق

تذكر الرؤيا التي ارتآها وهو لا يفهم ما يريد معلمه فكثيرا ما كان يحيرهم بأسئلته العقلية

وهل هذه رؤية أم أضغاث أحلام؟!!!.

امتد به المسير

صوت يأتي خلفه:

- يا شبراوي يا شبراوي التفت فإذا به صديقه (حازم) فكان ودودا وندّا له.
- صديقي الغالي – واحتضنه فهو لم يره منذ سنين
- كيف توصلت إليّ كانت أخر مرة زرتك فيها بالمركز منذ أربع سنوات ما الذي ذكرك بي
- ذهبت مع عمي إلى شرم الشيخ وعملت بالسياحة
- خريج العلوم جيد جدا يعمل في السياحة
- حرام ؟
- ليس مجالك لا أقصد حلال أو حرام.
- جئت إليك لأنني اشتقت إليك وأردت أن تعمل معي، سيكون لك عمل بأجر مجز

- تعال لنذهب إلى البيت
- لا فقد جلست مع "أم شبراوي" وتحدثت معي عنك كثيرا ماذا ستفعل؟... وحالك لا يعجب أحد. فالناس جميعا يعرفوك ويعرفون أنك تتحلى بالأخلاق الطيبة ماذا تريد؟
- لا أعرف انتظر صيدا
- هههه بهذا الصنارة هل أنت شبراوي الذي اشتكت منك معامل الكلية أسئلتك للأساتذة.
- لا أعرف انتظر صيدا.

حزن حازم على صديقه واستأذنه وذهب ليركب سيارته على الجانب الآخر من الترعة الممتدة

واصل شبراوي المسير وبعد ساعات جلس تحت نخلة يتدلى منها البلح الأصفر وألقى بصنارته

وفجأة يسمع صراخ الفلاحين على جانبي الترعة.

- الحقونا الحقونا

طفل صغير يغرق وبسرعة البرق نزل شبراوي إلى المياه بجلبابه الذي أضنته رفقة شبراوي

أخرج الطفل وقام بإجراء إسعافات أولية..... أحس حينها انه له فائدة يمكن أن يقدمها واهتزت فرائسه وانتعش فؤاده وتذكر

عصا أستاذه ونسي عصا أماني. فقد اصطاد طفلا لينقذه لا ليأكله.

أحس بقشعريرة تسري في جسده وأحس بغثيان وسقط على الأرض وحمل إلى مستشفى القرية المجاورة لقريته.

رأى أستاذه وأباه الروحي يشير بعصاه إلى قلب شبراوي مرة أخرى ما زال مريضا. تذكر يا شبراوي الكتاب ذا الجلدة الخضراء قد تركت فيه لك هدية

هب جالسا وجد والدته تبكي بجانبه.

- لا تبكي يا أمي.
- يا بني فقد الأعزاء قدر لقد توالت عليك صدمتان وفاة أبيك وفقد أستاذك الأستاذ جابر
- يا أمي لا أجد عملا يحقق رغباتي المعملية ومساعدة القرية
- ربنا يسهل يا بني.
- الكلية لفظتني وقد كنت طالبها النجيب.
- ربنا كبير.

رجع إلى بيته وتذكر رؤيته ثم نهض وذهب إلى دار أستاذه وقد آلت لأخيه وطرق الباب ففتح له قائلا – مات أستاذك ماذا تريد؟

أريد أن أرى شيئا بالمكتبة.. لقد ترك الأستاذ لي شيئا بأحد الكتب

شيئا أين.. أين..؟

بكتاب أخضر.

وصلا إلى الكتاب واختطفه أخو الأستاذ لم يجد سوى ورقة مكتوب بها وصيتي توال المكتبة بكاملها إلى المعلم القادم.

- هو ده الشيء

- حلال عليك وخلصني منها

رغم أن دراسته الكيمياء العضوية التي برع فيها إلا أنه يعشق الفلسفة، استشعر أنه اصطاد شيئا ثمينا عرف شبراوي أنها رؤى لم تكن أضغاث أحلام. يطرق على الباب ساعي البريد. مبروك يا أستاذ شبراوي عينت بمركز البحوث. فرح بعد سنين معاناة ليس للتعيين ولكن لديه هدف مما تعلمه في كلية العلوم. قابل مدير المركز واصطدم بواقع لصدمته في مقتل أستاذه

عاد إلى بيته وانهمك في كتب أستاذه وأصبح له طلابه يعلمهم الأخلاق من خلال الفلسفة التي تعلمها في البيت ولم يتعلمها في المؤسسات التنظيمية

مرت السنون وأصيب بفاجعة جديدة.. وفاة أمه

هواية

اضطربت الخلية تنادي ذكور النحل نفذت خزائن العسل بالكلية، تجري الشغالات هنا وهناك بعضها يعود والآخر هجر الخلية وسافر بعيدا، يصيح النحل الملكة ستموت ولا تستطيع الإنجاب سيقضى علينا يتملك الخوف الجميع الأعداد تتناقص فمكان الخلية أصبح موحشا، فقد جاء أحد الرعاة بأغنامه فقضت على النبات حول الخلية ولم تترك سوى الشوك وقليل من الخروع.

جرت في عروقها الزعامة، واستحثتها العزيمة القوية أن تنقذ أبناء جلدتها من الأخطار فانطلقت تدور في المكان يمنة ويسرة فحطت على نبات الشوك فلسعها

- آه .. آه .. آه
- هههههه هههههه
- لماذا لسعتني كدي تقتليني
- هواية
- الأذى هواية
- تلك طبيعة اليوم يا...

– كنت أبحث عن رحيق

– لدي الإبر.. الإبر

ذرفت النحلة دموعا، ولم يكن من ألم الوخز ولكن لطبيعة اليوم هذه شجرة الخروع وبدا لها أزهار وعندما وصلت لزهرتها وجدتها كريهة فابتعدت سريعا

أضناها التعب فنزلت على طينة الأرض تتبرد قليلا وترتاح فعلق بها الطين ولكنه أهون من الوخز والرائحة الكريهة، وأخذت النحلة تفكر في مأساتها ومأساة خليتها التي قربت على الانهيار والخراب.

فقررت أن تبحث عن بذور للزهور وتزرعها.. وطفقت تبحث حتى وجدت بذرتين خلفتهما دهس الأغنام واختارت مكانا جيدا لزراعتهما وغرستهما فأين الماء؟!!!!!

انتظرت للصباح الباكر وأخذت تجمع قطرات الندى من فوق ورق الخروع متحملة الرائحة الكريهة ومن فوق الأشواك التي ملئت المكان وقد أصابها التعب ومن كثرة ترددها على الأشواك جرحت أجنحتها فكانت تسقط على الأرض وأخذت النحلات تتساءل ماذا تفعل هذه المجنونة ومن ذلك اليوم سميت النحلة المجنونة فكيف لها أن تفكر هذا التفكير، ولكنها واصلت العمل

كل يوم تقوم بما تفعله يوميا ومرت أيام قليلة حتى ظهرت نبتتا الزهرتين

ففرحت فرحا شديدا ولكنها فقدت أجنحتها من شدة التعب والجهد حتى سقطت وقضت نحبها، فقبرها النحل وكتبوا على قبرها " هنا ترقد النحلة المجنونة "

ومرت أيام ونما عودا الزهرتين

وفجأة زحفت الأشواك إليهما وبدأت تمتص غذاءهما من التربة

فقالت إحداهما: لماذا تفعلون ذلك

ردت الأشواك في صوت واحد: البقاء للأقوى.

قاومت الزهرتان ومن حسن حظهما أن الأشواك تصارعت مع بعضها. وقامت أشجار الخروع بحجب الشمس لتقتل الزهرتين

وسألت إحداهما: لما تفعلين ذلك يا شجرة الخروع

أجابتها: هواية

الأذى هواية..... الأذى هواية

نعم تلك طبيعة اليوم.

أخذت تنمو الزهرتان وتقوى حتى شب عودهما وظهرت لهما أشواك تدافع بها عن نفسها فمزقت أوراق الخروع الكبيرة فظهر قرص الشمس وضاء فبعث الأمل فيهما وتفتحت زهرتهما.

لما رأى النحل ذلك كذلك..... انتعش فرحا وعلم أنه أخطأ في

حق أختهم وكيف استطاعت أن تنقذهم جميعا

وقرر النحل تسمية الخلية باسم فقيدتهم

وذهبوا إلى قبرها جميعا ومحوا ما كتبوه سالفا

وكتبوا " هنا ترقد المكافحة النبيلة "

ليست ملكك

ترقرقت زهرة يسري عبيرها بين الأغصان، فيجذب كل من يشمه ويلاطفها الندى كأنه عيون ساحرة، ومن شرفة البيت العالي ترمقها عروس أعدت حاجاتها تسآل نفسها ما أجملها يا لحظ البستاني مليكها.

تمتلئ عيناها بآهات لا يستطيع لسانها ترجمتها، وعند الظهر لفحت الشمس الزهرة فمال عنقها وذبلت أوراقها فجاء احدهم وحمل هذه الزهرة إلى مكان لا يعرف. بدأت تدق طبول الفرح وتعزف الموسيقى ألحانها ترن في أذن العروس كأصوات البوم يحلق على حجرتها غراب البين

دخلت الأم: هيا يا ابنتي

العروس: كما شئتم

وخيم المساء واتى صاحب المال ليحمل العروس إلى مكان لا يعرف.

عاد البستاني لم يجد زهرته قد فرغ مكانها الأصيص. فاخذ ينادى من اخذ زهرتي لقد رويتها بقلبي لقد عقدت حياتي على حياتها. فجاء صاحب الدار أهى ملك لك؟

ليست ملكك. فأجاب نعم ليست ملكي.

شكل مموه

دخل حجرته، أضاء المصباح وقف مهموما. هل يستطيع النوم؟
لم يجد في شريط المنوم أي قرص فقد تعود منذ سنوات عليه، أمسك بكتاب وسرعان ما تصفحه ثم وضعه على منضدة ملية بالتراب والكتب ينتابه قلق يحاول أن يشعل سيجارا ولكنه لا يعرف، يتحرك داخل حجرته يفتح بابها ثم يرجع ليغلقه.
اخمد ضوء المصباح واستلقى على سريره ينتابه البكاء الصامت، يفتح الباب لتهب زوابع مظلمة يسمعها الآن.
هذا يسب جاره..، وآخر يرفع سلاحا.. وآخر يعارضك الرأي بسواد وأنياب زرق، وذلك صديق يقطع وده دون سبب وابنة جار نضجت وأصبح لها حكايات، وأمراض تتفشى في جسد المجتمع..، وأب قاس مع أولاده..،، وأم مريضة تلوي أعناق العافية..، واخ مسافر لم يبعث رسالة واحدة...،،
كانت منذ لحظات في أحلامي وفي كلامي أحادثها فتجري بعيدا، أصافحها فتغلق يدها، أجري إلى متجري لا أبيع شيئا.. فاليوم

بارد جدا منع الناس من الخروج فاتسعت الشوارع لفراغها.

أرسلت لعمها أخطبها أبرق بالرد موافق.

لا أكاد أصدق.

ذهبت مع أصدقائي لأجهز حالي.

فكيف أجمع أولئك المتشاكسين؟

زفاف يتم متقطع الأوصال، وجوه تتلاقى لا ترى بعضها البعض.

أخذت عروسي وذهبت إلى بيتي لعله وجه ضاحك ينسيني تلك الزوابع.

ولكني تركت المكان وسافرت لا وطن لي لا أهل لي لا صديق لي...

سفر في سفر

وصل (عبد التواب) إلى محطة القطار بمركزه لكي يستقله إلى القاهرة محل دراسته الذي يبعد مسافة ثلاثمائة كيلو متر تقريبا، بدأت المحطة بالاكتظاظ ومع جلبة الضوضاء حيث كلام المسافرين وعربات الحقائب والأمتعة وضحكات الشباب والشابات.

هب الناس من أماكنهم فجأة وكأن أمرا مريبا سيحدث.

دخل القطار المحطة وانطلق المسافرون في هلع وذعر وكأنه آخر قطار في دنياهم يدور (عبد التواب) بناظريه يطوف بهما الناس.. ماذا يحدث؟!!

زاحم (عبد التواب) – رغم أنفه – بجسمه القصير الذي يميل إلى البدانة لا يعرف مكان رجليه فهو محمول بين الأجساد، وبعد هذه المعاناة وجد نفسه على كرسي بجانب النافذة وحمد الله على ذلك.

انطلق القطار مودعا موطنه، وكانت بيده رواية بعنوان (ضياع الأمل) ترقرقت في عينيه دمعات لنهايتها الحزينة

توقف القطار في إحدى المحطات بجانب آخر على الشريط المقابل، نظر (عبد التواب) من النافذة فرمق وجها جميلا لفتاة بالقطار الآخر كانت ترمقه بعينيها البراقتين يشع منها نور يتلألأ مع حبات الندى على زهرة صبوح يحطها بحر من الجمال أمواجه رقيقة تدفع برفق يرتاح لها الشاطئ لا يستطيع أن ينزع عيناها فقد أصابته سهام الهوى فهوى.

يحدث نفسه:

- أكلمها

- ما فائدة ذلك

- أنزل وأستقل معها قطارها

- إنني ذاهب للدراسة.. وبعد

حاول أن يرفع يده ليشر إليها

تحرك القطاران في أصعب لحظة وداع لهما ذهبت صورتها مع تسارع القطارين ولكنها حفرت في عقله وقلبه

فانطلق قطاره للشمال وانطلق قطارها للجنوب

والدة

في ليلة شتوية باردة على رأس الشارع الرئيسي المواجه للكبرى الجديد وسيارات الخط السريع التي تدوي بصوتها المزعج المثير للأعصاب المنتجة لمواليد المشكلات والأمراض، تجلس سيدة تقترب من سن الثلاثين على صينية النافورة القديمة الدائرية تدور بها الأفكار تحملق في السماء وفي المساء وبجانبها طفل في سن التاسعة يحمل عنها بعضا من همومها، فهي تحمل طفلا وطفلها يحمل طفلا جالسين ينتظران

الفرج..، أي فرج؟ أن يجدوا سيارة تقلهم إلى بلدتهم

تنحدر من عينيها عبرات تغسل جلبابها تنغلق نفس الصبي على هموم فهو لا حول له ولا قوة ليس لديهم أية نقود ليستأجرا سيارة فهذه مسئوليته القادمة

إنها متزوجة من شخص لا يملك سوي الجلوس على المقاهي لا يرعوي متبلد المشاعر

فقد النبل والإنسانية، كانت بالمستشفى المركزي تضع توأمين نزلا إلى الدنيا بغير سند ولا أهل يهللون لمقدمهما وكأن المسكينة الوحيدة بالدنيا ستورثهم الوحدة.

بأي قلب هذا الرجل يترك تلك المسكينة

جاء الطبيب ورأى أن صحتها جيدة فكتب لها الخروج من المستشفى لم يكن لها معين سوى هذا الطفل ذي التاسعة من عمره.

الساعة تتجاوز الثانية عشر

ينزل ثلاثة من الأصدقاء على الكوبري قادمين من ملوي قد حضروا أمسية أدبية بنادي ملوي، رمقوا هذه السيدة امرأة مسكينة عليها ملابس رثة ومعها بطانية خلقة وأطفالها يرتعون من البرد فارتعدت مشاعر الثلاثة وجرى على بال كل منهم من هذه السيدة الوحيدة أهى منتظرة سيارة؟ كيف ستواجه هذه الليلة؟

فكل السيارات في هذا الوقت البارد قد ركنت ولا توجد سيارات من لهذه المسكينة؟

ساروا خطوات، وقفت أرجلهم تحدثت عيونهم عندما نظروا لبعضهم البعض قبل أن تتحدث ألسنتهم عادوا إليها. أيتها السيدة ما الذي أتى بك في ذلك المكان في هذه الليلة؟

السيدة: أريد ان أذهب إلى بلدتي.

لم يجدوا سوى (توك توك) وطلبوا من السائق أن يوصلها إلى بلدتها هي وأولادها.

أخذ أحدهم تليفون السائق واسمه خوفا أن يحدث لها مكروه.

وظلوا صامتين حتى ترك كل منهم الآخر إلى مسكنه.

كسيرة

أسير الهويني كلما اقتربت من منزلها أتلصص بناظري لأجد ما يشابهها، أتصنت بأذني نغمات أوتار صوتها

أتلكأ المشي أجرجر أذيالي أتشبث بالتأني وأتلذذ به

أزيح الهواء إزاحة، وفي يقيني أنها تركت المكان وهجرته من سنين، ألا قاتل الله هذا المكان فهو يعصف بأحاسيسي

فتتفكك تفكك السفينة في مواجهة العواصف، فتتطاير ألواحها تترامى بعيدا بعيدا،

تدق عظامي ذكريات دق الرحى ثم تأتي الريح تطيّره بعيدا بعيدا

قلت:

_ أتجنب السير في هذا الشارع لكنني أراني أتلذذ بالحزن والألم.

تزلزلني رعشة الفراق، لا أعلم من أين أتى ذلك المتحول داخلي قبل هجرها المكان

فجأة تغيرت الأحوال وهجرت المكان

فتركت قلبي خرابا تنعق فيه أصوات الألم

يترنح خاطري وأسير في درب حياتي

الصمت

هبت عاصفة الحزن بلا هوادة مدمرة هيكل قلبه المتفحم لظروف دنياه التي أطبقت عليه، وكتمت أنفاسه عن المضي قدما في طريق السعادة

***

قالت له ذات مرة أخي غير موجود تفضل تفضل في حين أن لسانها نطق بضع كلمات ولكن عينيها نطقت بما لا تطيقه الأقلام، ثم قال شكرا سآتي مرة آخرى وفي طريق منزله الذي يبعد عن منزلها الكبير الكثير، كاد الشارع لا يسع الفرحة وكيف لا يكون ذلك بلا ترجمان، ماذا يفعل فيما عرض له

***

وأثناء عودته إلى قريته من سفر طويل طال قرابة العام في أداء عمله وجد عرسا في هذه اللحظة أحس قلبه برعشة كرعشة المذبوح عندما تخضبه الدماء تدحرجت من عينه دمعة لا إرادية كبريتية على صفحة وجهه تكاد تطهي جزورا

***

ساقته قدماه لينظر إليها في زينتها ليرآها في مأتمها فقد كان الحفل فخما عاصفا ولكنه لم ير أحدا من الموجودين فصورة البشر في عينيه البشر جميعا، وأخذا حقيبته ولكنه ناوبه الفرح.

يغرد

يغرد على الضفة الأخرى فوق شجرة عجوز فروعها مدلاة تهب رياح فتمزق أواصر أوراقها تتساقط تتطاير يظل يغرد ذلك العصفور، مرت به حمامة قد كتمت أنفاسها الريح المحملة بالأتربة. مالك يا أبله تغرد؟!

تحت طمر الرمال سنينا تنكشف خوذات تبهر العيون تموج مشاعر الناظرين تفتح لهذه الخوذ حوارا.

هذه رفاتي وتلك بطاقتي كنت ألهو على شط الترعة تبهج النفس خضرتها ويذكي النسيم العليل مشاعر الرقة والحنين تسير على الجهة الأخرى مع والدتها ترمقني بنظرة ترفع روحي إلى أمجاد الرقي، حاجباه يفيضان عجبا من اهتمامي بها رموشها تزيل براثن الألم، حدقتها تقبض على قلبي فيرفع الراية البيضاء، وجفنها يحيطني بالدفء في شتاء زمهريري، بؤبؤها يفتح على قلبي نورا، بياضها انعم بصفائه، وسودها يأخذني إلى متاهة لا أريد الرجوع منها.

ألقى أصدقاؤه عليه إناء ماء يمتعض ولكنهم سرعان ما ينفجرون بالضحك غدا يا (راوي) ستذهب للجيش.. نعم تناديني سأسكب من شراييني لأزيل من دنسوها ونحن بعدك بعام – إن شاء الله –

– هذه رفاتي وتلك بطاقتي أضع الخطط ومعي أسود لا تنم أعينهم عريف راوي وسيد محمود

– تمام يا فندم

– أحكموا القبضة على دبابات العدو الثلاث

– علم يا فندم

وغاب الثلاث

– هذه رفاتي وتلك بطاقتي كانت أمي تبكي طيلة الليل على سفري

يا أمي ستعود يوما بسمتي

خذ كل هذا الطعام سيكفيك وزملاءك

أقبل يدها

– هذه رفاتي وتلك بطاقتي يضعون الزينات مبروك يا سيد في خطابهم الأخير ستحضر فرح أختك في الإجازة القادمة ونخطب لك بنت خالك.

– هذه رفاتي وتلك بطاقتي كنت طيلة الوقت ألهو لم يستطع أبي أن يخرجني من الجيش بأي سبب كنت اكره الحياة العسكرية، كنت أتأفف من زملائي، مالك يا محمود تريد من بلدك أن تنعم أنت بها فقط ولا تنعم بك وإن شقت لا تريد الدفاع عنها.

كلماتهم أيقظت مشاعري نحو هذا التراب تلمسته فوجدته أحن علي من كل شيء شاركت زملائي في طعامهم فرحوا بي وفرحت ببلدي.

عاد العصفور على الضفة الأخرى يغرد ويغرد.

مرتقبة

تجلس منحدرة على رأس الحارة تنطلق من عينيها شباكا للمارة مرة يسارا ومرة شمالا ترى في كل من يقترب منها منقذا أمامها بضاعة دفعت كل ما تملكه من مال تريد بيعها، تنازعها الهموم من كل حدب وصوب تتقاذفها الآلام من كل طريق، الحوائط سدت سبلها تمسك بأذيال أمل بال تتقطع طنبه كلما مرت ساعات النهار تكاد تلقي بضاعتها وترمي بتلك الهموم لتحمل هموما أكبر، لها زوج لا يعرف سوى شرب الخمور والأقراص المخدرة لا تستطيع نفسه مساعدتها يأخذ كل ما تبيع به حتى إنها تقترض ثمن البضاعة

تعاتبه بشدة متبلد الحس كركام وضع من سنين لا يمكن زحزحته ولا يمكنها تركه لأنها لا عائلة ولا سند وأثقلها بشابين قد استمدا من بحيرته العفنة فلا جدوى منهما.

رقائق

ترسم بريشة فنان مشعوذ صورة الفرح في البيت فاستطاع الصغير أن يحقق إنجازا لم يقترب من الدار من سنين طويلة أو حتى يتلصص عنده، فكانت ترقبهم عين خبيثة فالأب مثال في النزاهة والشرف والعمل، والأم تقوم بدورها إلا أن الأبناء وقعوا في شباك الضعف والوهن ينبت الحنظل في تصرفاتهم

يسير موكب الصغير في صالة البيت الطويلة تزهر حدائق الفرح شقائق النعمان والأقحوان يسقيها صبر السنين غوادق الأمل

الأم ينتابها الاندهاش تتسلط على جسدها قشعريرة حانية تعوض ما راح من الآمال

يجري الأب إلى محلات النت ليبحث عن نتيجة ابنه فهو في الشهادة الإعدادية يخبره صاحب المحل آن ابنه نال ما يقرب من ثمان وتسعين بالمائة يذهب لمحل آخر يخبره بذلك لا يصدق الأب ما يسمع

يهرول إلى البيت يطوي الأمتار في لويحظات.. البيت بهيج يدخل يجد ابنه وسط سيدات الجيران يصفقن يمتلأ وجهه حبورا تبنى

على منحنيات وجهه أبراجا تعج بالطرب والزغاريد يمسك قلبه اثبت اثبت لعله خير.

هل يا ام الصغير سيحقق أملنا.... لا قصدي نعم نعم نعم.

دخلت تلك المريبة الجارة.. يتمم الأب بآيات وأدعية.. تتمزق يده لا يستطع أن يمدها ليخذ مباركتها للصغير

قالت: الطريق طويل يشد حيله.

نام الأب من ليلته ثم استيقظ يتصبب عرقا... أيقظ الأم هيا هيا فالطريق طويل

أخذ صغيره وحزم أمتعته ومعها الضعاف الثلاث واستقل سيارة لترسله إلى القطار مفارقا القرية وتلك العين الخبيثة إلى مكان آخر

أعود لحجرتي

كأنها وريقة سقطت من غصن شجرة كسير لم يتركها الريح تنعم في وحل الأرض، أشاح بها في مكان مجهول، تسير بخطى تقذفها لزمن بهيم تتذاكى لتعيش تتباكى لتتواصل تلاطف غيرها بألوان الضحك الخفيف.

في قرارتها تساءل الحياة لتتبناها تصل لقبر أمها وهناك ينتحب العويل فتركك يكسر عظامي هي مكسورة منذ الصغر، فتركك يطفئ قنديل الحياة يرمسني بالظلام والآهات ترجع لحجرتها في بيتها الساكن تتأرجح نفسها في طيف الخيال لا يعتني بي إلا تلك الشفقات من زميلاتي وزملائي لا تجمعني بهم سوى لحظات ثم يذوبون كما تذوب حبة السكر في البحر اللجي، في عيدي تترسم البسمات في الشارع الممتد للصلاة تتلامس بآهات الفراق بعد بره صغيرة أعود لحجرتي أتمسك بذاك الطيف السمين أتذكر أبي لا لا... أتذكر أمي.....

وأجلس على مكتبي بعد معاناة الجلوس كفي اليمنى تطلب من اليسرى أن تتبادل معها المسئولية في حركتي أتلقى طلبات الناس لتسجيل المواليد أضاحك وجهي

ما اسم المولود؟

اسمه باسم.

أتناول البطاقات وصورة وثيقة الزواج أتأملها تنسج نفسي صفائح فولاذية على خيالي لا يستطيع اختراقها.. أفيق.. ما المطلوب يا أستاذة؟

اكتب اسم الطفل وأسلم والده شهادة ميلاد الطفل فتتلألأ عينه.

يدخل الساعي:

_ محتاجة حاجة؟ قهوة سادة

الساعي:

_ نشرب شربات

اتصلت بسائق التوك توك ليأخذني لمنزلي الساكن

أعود لحجرتي

من ذا الذي يتحمل مسئوليتي؟

من ذا الذي يقهر فكر مجتمع قاس؟

قرر لا حياة

أضغط على ركبتي

أصحو على صوت عصفورة تطعم فراخها

صوّاق

على شبابيك البيت المقابل للمشفى ينسج العنكب بيته، يضفرها بعناية وسرعان ما تهزه نسمات يلفه النسيج لا يتخلص منه إلا بتمزيقه.

في أستار الليل البهيم تسمع صوتها تنادي

ماما ماما ما ما ما

إنها صرخات جعلت الصخر يتفتت يحول القلوب خرابات، تتلقفها أيدي بنات صغار لا تسكت مع هدهدة ولا تسكن من ألم ولا تضحك من دغدغة، لقد تركتها أمها مع آخر يعرف كيف يطعم فاه وصغير لا يئن لا يعرف إلا اللعب في التراب والوحل.

مازالت تصرخ والباقون نائمون. تسكت هنيهة تدور بعينيها الصغيرتين في سقف من عروق وأخشاب ترى عنكبا يقول لها:

_ نحن لا نبكي وستتعودين لقد سارت أمك على عادة.....

أغواها ذلك العربيد وأغوته فهتكا ستر الحياة

وأصابوا البيت برائحة كريهة لا يحتملها إنسان.

تتابع العنكب يسير على الحوائط يتلمسها سيودعها قريبا

جهة

تركت الميناء متجهة لأهداف عديدة، اكتظت بالمسافرين تبعث صوت البوم تحدث به قلوب الأمهات اللواتي سهرن الليالي بجانب بكاء صغارهن يقطعن من قلبهن من فلذات أكبادهن.

تسير السفينة ترفرف عليها الأعلام في اتجاه معاكس

فجأة تتوقف الماكينات تعطلت فلم تقو على دفع كل هذه الأهداف، فقد حملت بما لا تطيق كبغلة عرجاء انصرم منها الحمل فمالت

فبدأت تهوي إلى أسفل تشرب المياه المالحة في سرعة وكأنها تشتاق له وتستمر في ذلك ألقى الركاب بأنفسهم لتتلقفهم وحوش البحر بوساطة وحوش البر.

كان قد وكّل أباه أن يكتب كتابه على ونيسة ابنة عمه كم كان مشتاقا إليها، كم كانت مشتاقة إليه، ولكن شوق البحر كان أسرع

كان قد عقد العزم تطيب خاطر أمه ومصالحتها بعد أن تركها وحيدة واغترب ليرسل لها أموالا ولكنها قاطعته فهو وحيدها ولا تريد أموالا، ولم يمهله البحر ذلك.

كان قد وعد خطيب ابنته أن يتتم الفرح فور وصوله ولكن البحر كان أسرع من الفرح.

كانت تنتظرها أسرتها بعد ان سافرت مضطرة سنينا طويلة لتأتي بما يحقق طموحها وطموح أسرتها المادي، ولكن كان البحر أطمح.

كان مستدينا وعقد العزم أن يسدد دينه ولكن البحر كان هو الدائن.

كان مريضا ويأمل أن يصل المستشفى ليأخذ علاجا ناجعا ولكن البحر كان أنجع.

كان يلاعب طفليه على ظهر السفينة فقد كانا زهرتيه اللتين أراد أن يقطف مستقبليهما، ولكن البحر هو القاطف

كان مهموما لم يجد عملا بالخارج وكيف يلاقي زوجته وأطفاله بذلك فأزال البحر همه.

كانت هي وبعلها قد أديا عمرة بعد أن أصبحا كهلين ولم يرزقا بطفلٍ يعودان إليه وتذكرا ذلك فبللت دموعهما وجهيهما فاختلطت بماء البحر.

كان قد أحضرا هدايا الزفاف والتجهيزات غالية الثمن، فقد كانا أخوين توأمين، ولكن البحر تقبل هداياهما

كان..... كان..... كان.....

فهل من ناجين؟!!!!!

خضرة

ارتمت في أحضان الأيام يخرج من صدر تلك الأيام سنبكان يشخبان دما

فهرعت إلى قلعة الأم الحصين عليها حراس غلاظ، تركت أمها وأباها من سنين فقد عشقت آخر وأجبرته على الطلاق منها بجسدها لم ترعوي تلك الأم ان تترك بنتها في سن الخامسة من عمرها فلم تنجب سواها. قرر الأب ألا يتزوج فالنساء صبغت شياطين بيدها في قلبه وعقله بل أغوال أسنانها زرق.

حتى ابنته رأى فيها أمها

تجلس البنت في منزلها حزينة طيلة الوقت لا تستطع أن تأكل إلا فتات ما يترك فقد تركنها أمها وغدرت بها وألقت بظهرها خنجر يحركه أبوها طيلة الوقت لإيلامها

أكملت العاشرة فذهبت مع زميلاتها لتعمل بمصنع السكر بعد إلحاح شديد للخروج

تعمل من بدء اليوم لنهايته مع قريناتها يهمزنها ويلمزنها

تعود بجنيهات لم يقبل منها أبوها شيئا حتى لا يريد سماعها تصارعها الحياة وهي مجردة تصافحها الأشواك تجرحها بدون سبب ارتكبته.

تبكي عليها الجبال ألما تنفجر صخورها معاناة فقد كان الأب دائم الترديد " اقلب القدر على فمها تتطلع البنت لأمها "

ظل الحال على ذلك قرابة نصف العام

تقف كل يوم أمام عصارات المصنع العملاقة وهي تهضم أعواد القصب لتحولها إلى سكر، فصاحبت خضرة العيدان.

صرخ الجميع لقد ذابت خضرة في السكر.

راجعة

يشيبها ليل كد، تشتم العتمة، تلمس مخالب الظلمة وتتمسك بتلابيب العمة ولا ترحمها الغمة

ولكنها رمت أوثانا فتكسرت وانبعثت النور من تلك الأحجار الصلدة وأشعلت بطرف طرحتها شعلة أضاءت لأولادها الذين نحلت أجسامهم تكسوهم صفرة يدفئون أنفسهم فتجري الدماء في عروقهم يحاولون رفع هاماتهم يسكبون السحب غوادقها يتسلقون ضوء الشمس فيفرح بهم القمر

أبناؤها كثر إنهم بيض الحلل والوجوه يتسلقون أشجار الجنة شيعتهم الزغاريد تتقدمهم موسيقى تدمي القلوب

وآخرون يسبحون في بحور الدم

صراع مع القطار

عند القطار انهمر صمت العيون في بحر من آسى الفراق، لا يستطع التحدث فقد ألجم لسانه، اهتز باب القطار مرتعشا غرق أيضا في بحر الأسي تتمسك العيون بعضها ببعض يشد وثاقها الشوق.

يصرخ القطار معلنا الفراق تتقطع خيوط العيون فتلة فتلة لا يستطع أن يربط إحداها يرفع حقيبتها فتنوء من الأشواق ترتسم بنفسه صورة الرحيل.

وضعت يدها في يده ينسلخ القطار منه انسلاخا فقد يدها

قالت: مع السلامة

قال: أية سلامة

وقف على رصيف المحطة يشيع القطار، يصرخ القطار مغنيا أخذتها منك، يسكب في نفسي مرارة لا تزيلها الأيام.

يجلس جاثيا على ركبتيه مالي ومالها

تذكر أول يوم في قاعة التدريب قرأ على المنضدة اسمها تساءل من هذه وعندما دخلت القاعة أظلم الناس حوله فلم يرى سواها

من هذه كأننا تربينا في إناء واحد فهذا الوجه المستدير المألوف قبض على كل مشاعري.

أتت وجلست على المنضدة عرفت نفسها أنبتت القاعة شجرا وغردت الأقلام التي أمامنا أطلت النظر إليها وهي كذلك تعاملني من أول دقيقة كأنها تعرفني... ما هذا يا ربي؟!

انتهى اليوم فجأة

تذكرت عندما قمنا بإتمام المهمة المنوطة منا سويا وكيف كانت تلجأ لي في أمورها رغم وجود فريق كامل. أرادت أن ترحل بعد انتهاء العمل المطلوب لبلدها فقررت أن أصارع القطار الذي غلبني وكلما سمعت صوت القطار يجرح حوائط قلبي وأسكن بالقرب من المحطة.

حديدة

رجع محمود إلى بيته يقول:

أرض النفاق تطردني

أهرب مطرودا مرفوع الهامة

أسكب في شراييني الفخر

أتمسك بتلابيب العزة

أقطع أواصر السوء

فقد اشرأبت آذناه

وانطلق لسانه ينهق

وفرغ قلبه كالطبلة ترن في نفس الآذان

كان بالأمس مسكينا يقمقم

جسده بُنِي على النهش

عقله كساه الوهم

يكره الآن النصيحة

أحسَّ بالرجفة من.....

والآن عيني حديدة

فقلت مالي والنفاق

الجدة

فرغنا الآن من تجهيز جنازة جدتي، فقد اجتمع الأهلون في مشهد يتصارع فيه الصبر والجزع فينتصر الصبر تارة وينكسر تارة فيعلو الجزع فتنحدر دمعات تغطي الوجوه

ينادي المنادي: الجنازة في طريقها للمسجد

تبكي الطرقات جدتي وتتوسل أن ترى وجهها في مشهد أخير ولكن أنى لها ذلك كم مرت برأفتها على الصغار بتمرات أو بعض ثمار ونتذكر النبق فقد كانت تضعه في أيدينا ويديها الناعمة التي تلمس بها رؤوسنا وابتساماتها تسري بيننا فترطب قلوبنا الغضة، يخرج من جنباتنا وحنايانا صرخات لا نعرف كيف تنطلق.

نقف صفوفا كما كنا تمر الآن بيننا نريد أن تمدد لنا يدها وان نرى عطيتها إلى أين ذاهبون....

لماذا جعلتم الجدة نائمة في الصندوق؟...

لماذا اجتمعتم الآن؟...

إلى أين سائرون؟.....

تذهبون للمسجد أجدتي ستصلي.....

لم هذا الصمت؟

تردد الأسئلة على قلوب الصغار وأعينهم تتعلق بالنعش وتتشبث به يشعرون بأن أواصرهم بالجدة تتمزق.. لقد أصبحنا بكما.

– اقتربت الجنازة من مجمع السيدات انفجرن بالصراخ وسط زجر الرجال الصبر الصبر نحن نسير في الطريق ذاته، وإحداهن تقسو على جدتي وتتذكر لها غضبة فتقول في نفسها في داهية.

– صلينا وانطلقنا إلى مثواها حيث مجمع قبور العائلة بمكان يسمى دوار العائلة الذي يضم موتانا نسير في طريق معبأ بالغبار وفي أعقاب السائرين تتبعنا (قطة) لونها أبيض يعلو ظهرها خطوط سوداء تصدر مواء مبحوحا لا يتوقف تتسارع قدماها لفتت نظر الناس فقد كانت جدتي تربي هذه القطة وكانت ترقد تحت قدميها تعطيها طعامها وتجلب لها الماء النظيف

– أراها تسير فتتمسح بها عند سيرها تكاد تعرقلها فدفعتها بلطف (أوعى يا مضروبة) تجري في أذيالها لم تتركها في أي مكان تذهب إليه.

– تم دفن جسدها وأخذ أهلنا العزاء وانصرفنا ولكن القطة بقيت على قبرها

أتى المساء نبحث عن القطة فلم نجدها

قلت يا عمي تركناها عند القبر جلبنا كشافا وذهبنا إلى المقابر تتعثر أقدمنا وجدناها قد أنهكها المواء تنام بجوار قبرها انفجر عمي بالبكاء، أخذناه إلى البيت بقوة

وحبسناها بمنزلها الملتصق ببيت عمي وهو منزل الجدة ولكن لم تجعل عمي يعرف طعم النوم فأخذت تصرخ طيلة الليل وفي الصباح قدمنا لها الماء والشراب فلا نظرة منها إليهما وفي خلسة انفلت وأخذ تعدو نحو المقابر، أخذ عمي قرارا سريعا فأتى بتاجر وذهب به إلى المقابر ومن هناك حملوا القطة في سيارة التاجر وأخذ عمي ثمنها فتصدق به على جميع أطفال الشارع

فقلت سلاما يا جدتي وسلاما لقطتها العطوفة.

صائد أمل

في غمرة الليل البهيم بظلمته الحالكة وصوت صرصور الغيط وعواء ذئاب تسمع خشخشة نعله يلملم نفسه ويجمعها جزءا جزءا يعطي نفسه جرعة من الشاي الذي لا يتلذذه إلا بالفحم في إناء يحكي لنا زمنا طويلا أعد شبكته خيطا خيطا لا يشد عضده سوى إرادة ترسف تحت أطنان من الهموم يسير نحو مجهول يطرق طريقا متعرجا بين الزراعات تتخبط قدماه يلفه الظلام يقبضته المتينة لا يستطيع منها انفراجة ولا هروبا تضج في أذناه أصواتا مخيفة

ها يصل إلى النهر تتلقفه عيناه ففيه أمله الذي يندفع سلاسل حديدية تتشبث بمياهه

يقول: يا مهمون هون علينا

رزقك يا ربي يا ربي يا ربي

يفرك راحة يده اليمنى باليسرى

يلبس ملابس أخلاق

ينظم شبكته يتوسل إليها بأن تكون به رحيمة وتقسو على الأسماك

يناجي نفسه لا يعرف كيف يناجيها تتملكه قشعريرة في هذا المكان لا أنس فيه ولا إنسي

يرمي الشبكة (أمله تمتلئ)

يمسك برباطها

يدندن مع نفسه

مع برودة الماء وسكون الليل أخذته سنة من النعاس

أفاق على جذب شديد من رباط الشبكة

وجذب من الخلف أشد عنفا من ذئب غادر أمسك بملابسه الخلقة احتواه الذعر وفي يده الأمل أخذ يصارع ويقاوم فتمزقت ملابسه واندفع بلا وعي داخل المياه فجذبته الأسماك إلى الداخل وقد أنهكه الجذب والرعب الذي تعرض له فصاحب أسماكه.

تسمع القرية صرخات ثلاث نسوة أم وابنتيها ينتخبن فعائلهم يطفو وتحيطه الشبكة مليئة بالأسماك.

رنة

يفترش الأرض تسيل ساقاه ويداه تلتصقان بالتراب من خلفه شمس الغروب.

عيناه تحملان ألوان الطيف فأي لون سوف يعطف عليه ولكنها تنسلخ منه ممزقة قلبه الكسير

فقد فقد القدرة على الحركة منذ سنين، فهو يخرج إلى خضم الشارع يسبح يواجه المخاطر وأعاصير الوجوه لسانه لا يقدر على الكلام، يفيض صمته خطابات تهز أركان قلوب الرحماء.....

وقفت أمامه تمسكت عيناي به في شرك كأني هو.. أعطيته شيئا يباع الإنسان ويبتاع به فرح بذلك فرحا كسيحا وأخذ يسبح يلاطم أمواج العيون والأحذية.

حظ عاثر

تعمل بمصنع البلاستيك باليومية، تسير ما يقرب من ثلاثة كيلو مترات في الذهاب والعودة إلى ذلك المصنع لتحصل قوت يوميها له ولأطفالها الصغار الذين لم يبلغوا الحلم، إنها تسير على قدميها لتوفر أجرة السيارة وعندما تعود في تمام الساعة الثالثة عصر يكون قد أنهكها الإعياء من فرط ما تلاقيه من شقاء أمام آلات تكييس الأحذية، ترجع يكون لم يكد قد أفاق من نومه فهو يسهر طوال الليل على المقهى الملاصقة لبيته مع رفقاء السوء تتعالى ضحكاتهم المزعجة للشارع كله، ولكن لا أحد يتعرض لهؤلاء الأوغاد.

ترجع فتجده كاشر الوجه كأنه وحش بالنسبة لها ماتزال عليه ملابس الأمس عليها بعضا مما يحتسونه من ألوان الشراب يظهر على هذا الجلباب آثار التدخين لا يكاد يغسل وجهه يطلب الطعام لا يتركها تهنأ بدقائق للراحة.

أين الطعام

دقائق

ثوان

حاضر

يصرخ طفلها الصغير تهرول إليه لتعرف حاجته، يسير إليها هذا الزوج وفي يده عصا غليظة يضربها على ظهرها تصرخ من لها؟

يقول في صوت أجش ألم أقل لك أن تحضر الأكل، تتعالى صيحات الصغير – لا يرحمها – هات الفلوس

تقول له سنشتري للعيال الأكل

قلت هات الفلوس ويضربها ويضربها، تعطيه اليومية ويدها ترتجف

تذهب للجيران لتستلف لتأتي بقوت أبنائها ولكن الجيران قد سئموا من هذا الطلب المتكرر، لا تستطيع تركه فليس لها أهل فكانوا فقراء ومات أغلبهم والباقون قد تركوا هذا المكان من سنين، من لها وفي عنقها ثلاثة أطفال تريد أن تعلمهم

ويل للقَنفرة

يغني محمود بعد عودته :

ويل للقنفدة من صحراء،

عندما ترسل ريح دوامية

تفتت صخور الجبل،

تطاير ذرات الصلد من الصخر

تكدر صفاء الهواء

ويل للقنفدة من صحراء

بجبروتها تطحن جماجم العظماء

بالأمس وطئوها بأقدامهم

طحنت أنوفهم في طيات النسيان

ويل للقنفدة من صحراء

ترسل شمسها تشوي الرمال توقد أحجارها

لا تبقي نبات

يزحف ممكن للعمران ؟

ويل للقنفدة من صحراء

يزمجر هجيرها، يجفف الأحلاق

يطارد كل ذي كبد

يدخلون الجحور وما بالك بالظمآن

ويل للقنفدة من صحراء

أصواتها تصم الأذان في ليل بارد بهيم

تلملم الجبال أرديتها

للدفء وهذا محال

يجعلون أصابعهم في الأذان

ويل للقنفدة من صحراء

بَادِيَة، بَرِيَّة، بَرِّيَّة، بَيْداء

سَبْسَب، عَرَاء، فَدْفَد، فَيْفَاء

مَوْمَاة، هَوْمَاء، هَيْماء، يَهْماء

أنها ترسل الذعر في الأسماع

ويل للقنفدة من صحراء

تضاريسها الممتدة

هوات وراء هوات

صعود هبوط يخلل الأعظم

يذيب المخالب والأقدام

ويل للقنفدة من صحراء

لحظ عين

في الطريق الممتد أعاني حمل الذكريات التي صبت على بواطن نفسي بقشعريرة تجبر القلب بكاء وتقتل العقل تفكيرا والأوصال تفتيتا والأعصاب خللا وتنغيصا كيف تجري بنا تلك السنون تجرجرنا من تلابيبنا بلا وعي لم أستطع الترحل وكأنني ثُبّت بأوتاد لا قبل ليّ بها إفلاتا

أهرول دون طائل

أسارع دون فائدة

أقاوم دون قوة أصرخ دون صوت

هذه حالتي الآن عندما لمست حوائط البيت العتيق الذي أصبح للعناكب بيتا وكان للنور ملاذا

وسلالم المدخل التي أصبحت طللا وكان للعب حمّالا

وأبوابه التي أصبحت بقايا وكانت للون بهاء ولمعانا

تتقاطر الدمعات فأسكتها تطاولا عليها وإباء في غير محله

إني سقطت بين راحتيك، أقلب نظري في الزمن المديد

رجعت لقلب بعد ردح عصيب

تساقطت أوراقي في الربيع تجمدت بأوصالي في اللهيب تصحرت

بمروج عمري

تنهدت في سكون حزين تجندل واديّ

تضحك كآباتي من بعيد

وتبسمت أحزاني من قريب فكيف لنفس تموج

في دروب تسربلت بالأنين وبكاء بعده بكاء وبينهما بكاء

وعاصفة تكسّر ما بقي من حصاد هشيم

لماذا تأنيت أيها العقل المريض المريد

لك الله يا روحي تمسكت بحبل هزيل

فأنا بين راحتيك أعاني الصبح ويشقني الأمل فحنانيك بقلبي

الضعيف

فإذا سقطت لا العقل ألقاه ولا القلب قدير.

ناداني صديقي هلم بنا فإن موعد الدرس قد فات

لماذا رحلت ؟

الوردة بيديه تتساقط أجزاؤها كلما حاول الإمساك بإحداها سقطت يده منه، يحاول يمكنها متذكرا مقولة أستاذه (لا تيأس) ولكنه عاد يتساءل

- كيف تبعثين الغيث على يباب قلبي؟!
- متى فراشتي تتنشقني؟
- أين تحفظين قلبي؟

بحور من الألم نزل في أعماقها فتلقفته وحوشها وكادت تفتك به، وهي تاركة بوابة المؤسسة أراد ان يكلمها فصرخ قلبه ولم يستطع، قالت سألحق السيارة

وراحت تسير بخطواتها التي تدق مشاعره كالرحايا الهوائية في يوم عواصف لم تسكت ولو لثانية واحدة لملم تلك المشاعر الزجاجية التي استحالت قطعا تحت الأقدام وسارعت خطواته سير الأرض التي أدارت اتجاهاته بِبُصلات غير معتادة في اتجاهات ووجهات غير مألوفة

أوقفها، قبل أن يتكلم بادرته لا تسألني عن شيء

فحجرت كلمتها كل نبرة هو قائلها

نظر وراءه فسمع همهمات ولكنه لم ير أحدا، نظر إلى السماء وكأن السحب تقطر قارا سد الأفق نزل على نبات الحديقة المجاورة فقتلت الفراشات التي تلونت بألوان تبكي على جنبات الطريق وكأن قلبه سقط من علبة فسقط في طينة القار فأخذ يبحث عنه لم يجده.

عاد يتساءل كيف يعود إلى منزله البعيد الرمادي المتشقق في أطراف المدينة

سارع الخطى مرة أخرى كانت قد عبرت العطفة المؤدية إلى الطريق السريع ينادي عليها ولكنها لم تجبه.. وينادي.. وينادي

أحد المارة:

- امش على جانب الطريق

نظر إليه و لكنه لم يع ما يريده الرجل.

ثم أخذا ينادي مرة أخرى بصوت أجش أزعج من حوله في الشارع الممتد الذي لا نهاية له ورغم أنه بالنهار ولكن

أعمدة الكهرباء مضاءة لم يستطع رفع عينيه إلى السماء مرة أخرى و يتمني أن ينزل في سرداب مظلم يدفن فيه ما تبقى من مشاعر

ثم بدا ينادي هذه المرة باسمها فيقول:

- يا (أنَا) يا (أنَا) يا (أنَا)

يتعجب المارة مرة أخرى منه، ثم أخذ يهرول رغم ذلك مازال الشارع ممتدا

شعر بصداع يفتت رأسه الجوفاء الفارغة تماما و أصبح قلبه أيضا فارغا يعود في نفسه إلى تلك الأيام اللواتي قضاها هناك في ريفه حيث النهر أمامه والجبل خلفه فكانت تفتح أمامه بوابات الحياة يتنشق عطورها ويتلمس مصارعها ثم يزيحها بيده لتلألأ عيناها بآمال شامخات تمخر شدائد الزمن فيهدأ قليلا.

يلاحقه صديقه في عجلة عدت يا صديقي

نظر إليه يهمهم بكلمات مفهومها ما معنى العودة؟

في النور

اصطفت عند عتبات الدار جموع من الأقارب والمحبين حيث تدلت عناقيد المصابيح تتلألأ بأنوارها ذات الألوان المبهجة، يكسو النور الوجوه والعيون متعلقة بهذا البدر القادم بين هذه الجموع يشقها وسط المباركات والتبركات

تمتد يده الصغيرة اللينة المطيبة بالزعفران وحبة من مسك عتيق يذكى النفوس لتصافح الجميع لقد دعاهم والده ليحضروا حفل ختمه للقرآن الكريم

وفي نهاية الجموع يجلس شيخه الوقور في فخار بأن طفله الصغير عند نداء الجمعة كان قد نطق بأخر أربع كلمات من أخر آية في سورة البقرة (.. فأنصرنا على القوم الكافرين) فكان اليوم مباركا حقا وهو يتلقى التهاني كوالده في هذا الحفل.

وهذا الأب زالت عنه شجون الحياة كأنها رماد اشتد به العواصف فلم تبقه منه شيئا فتطايرت ذراته إلى هوات

سحيقة وكأنها حبات من تراب سقطت بين أمواج البحر المتلاطمة وكأنها كلمات أطلقت بين أناس صم فلا وقع لها ولا تأثير

فقد حصل اليوم الأب على أعلى الشهادات التي طالما سعى لتحقيقها

تنادي الأم من منور البيت بصوت يسيطر عليه السرور يسرع الأب إليها دون تأخير سلالم البيت في همة ورشاقة وكأن العمر عاد به أعواما

- لماذا لم تحضر حاجات الحفل؟!

- لقد أحضر أخي ومشايخنا كل ما يلزم تكريما لابننا

فتلك الأم ذات الوجه المستدير والعينين الملونتين تعلوها سمرة من لون الصعيد تجلس على كرسي في صالة البيت المربعة بين نسوة من أقارب زوجها يتعالين بألفاظ الفرح والسرور يتقاسمن الحديث عن الابن والأم تمتم بآيات من القرآن كانت حفظتها مع ذلك الشيخ الصغير ويقلقها أن كسرت إحداهن إبريقا من الزجاج

قلن لها:

- أخذ الشر وراح.

وهي تبحلق بنظرات مشعشعة بالفرح والمهابة في تلك الوجوه المرتسمة عليها أوراق الربيع الزاهية يقاطعها نداء بنتها الصغرى سأنزل لأرى الحفل بأخي الشيخ الصغير.

يحيط بالشيخ الصغير عدد من أقرانه كحبات لؤلؤ فهم يلاحقنه في الحفظ يكادون يصلوا إليه تنبض قلوبهم بالأمل فهذا شيخهم قد غرس ورود الحب في نفوسهم وأنا شموع العطاء والندى في جوارحهم

يسمعهم الشيخ الصغير بعض الآيات في مكبر صوت مناس يتصايح على إثره الجميع بقولهم الله اكبر.

التعريف بالكاتب

الاسم / أحمد عبد الغفور أحمد علي

مواليد ١٩٧٤ بقرية تل العمارنة الشرقي

تخرج في كلية دار العلوم- جامعة القاهرة

المؤهل / ماجستير في علوم اللغة

محاضر مركزي وعضو عامل بأدب نادي ديرمواس

العمل بالتربية والتعليم

شغل منصب مسئول الدعم الفني بالإدارة

مسئول التعلم النشط لفترة بالإدارة التعليمية

مهتم بجودة التعليم ورئيس فريق مراجعة بالهيئة القومية لضمان الجودة

الفهرس

الإهداء ٣

التقديم..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

الطفل المفقود ٨

حنين ١١

ضريح الكبر ١٥

طامح..... ١٧

غرام ٢٠

فاجعة ٢٣

لا أعرف انتظر صيدا ٢٩

هواية ٣٦

ليست ملكك ٤٠

شكل مموه ٤٢

سفر في سفر ٤٤

والدة ٤٦
كسيرة ٤٩
الصمت ٥٠
يغرد ٥٢
مرتقبة ٥٥
رقائق ٥٦
أعود لحجرتي ٥٨
صوّان ٦١
جهة ٦٢
خضرة ٦٥
راجعة ٦٧
صراع مع القطار ٦٨
حديدة ٧٠
الجدة ٧٢
صائد أمل ٧٥
رنة ٧٧

حظ عاثر ٧٨
ويل للقنفدة ٨٠
لحظ عين ٨٣
التعريف بالكاتب ٩١
الفهرس ٩٢